عقبات فى طريق الأخوات

وكيفية التغلب عليها

تأليف
عصام بن محمد الشريف
عفا الله عنه

تقديم

الشيخ / محمد صالح المنجد

دار الإيمان
للطبع و النشر و التوزيع
إسكندرية © ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع
٩٧/٤٩٢١
الترقيم الدولى
I.S.B.N - 977-5191-39-4

الناشر
دار الإيمـــان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط. مصطفى كامل
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ/ محمد صالح المنجد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه وبعد

فقد اطلعت على الكتاب الذى جمعه الأخ/ عصام بن محمد الشريف بعنوان« **عقبات في طريق الأخوات** »فألفيته كتاباً مفيداً ونافعاً للأخوات المسلمات ومشتملاً على توجيهات جيدة ونصائح هادفة تنير لهن الدّرب وتضيئ الطريق.

أسأل الله سبحانه أن يوفق الأخ عصام لمزيد من الخدمة لدينه وأن ينفع به وبما سطّره وأن يجعل ذلك كله خالصاً لوجهه.

إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

محمد صالح المنجد ١٤١٧/٣/١٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : إذا جرى على العبد مقدورٌ يكرهه فله فيه ستة مشاهد :

(**أحدهما**) مشهد التوحيد ، وأن الله هو الذى قدره وشاءه وخلقه ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

(**الثاني**)مشهد العدل ، وأنه ماضٍ فيه حكمه ، عدلٌ فيه قضاؤه .

(**الثالث**)مشهد الرحمة ،وأن رحمته في هذا المقدور غالبة لغضبه وانتقامه .

(**الرابع**)مشهد الحكمة ، وأن حكمته سبحانه اقتضت ذلك ، لم يقدره سدى ، ولا قضاه عبثاً .

(**الخامس**)مشهد الحمد وأن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه .

(**السادس**)مشهد العبودية ، وأنه عبدٌ محضٌ من كل وجه ، تجرى عليه أحكام سيده وأقضيته ، بحكم كونه ملكه وعبده ، فيصرفه تحت أحكام القدرية ، كما يصرفه تحت أحكام الدينية

، فهو محل لجريانِ هذه الأحكام عليه.[١]

بهذه الكلمات المباركات أقدم لأخواتى المسلمات مقدمة الطبعة الثالثة من كتابى هذا ، بعد تنقيحه ومراجعته ، مع بعض الزيادات في بعض الأبواب ، حيث أن الطبعة الأولى كان بها أخطاء ليست بالقليلة ، فلله الحمد والمنة أن خرجت الطبعة الجديدة بهذه الصورة الطيبة .

وقد سرَّنى نفاذ الطبعات السابقة ، فعسى الله أن يثبنى عليه خير الجزاء ، وأن يكون نبراساً لأخواتى المسلمات فى طريقهن إلى الله تعالى ، وأن يكون عاملاً من عوامل ثباتهن على الدين .

وأدعو الله

أن لا ينسانى كل من يقرؤه بالدعاء لى

بالعفو والعافية فى الدنيا والآخرة

وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه

أبو أحمد / عصام بن محمد الشريف

٨ جماد أول ١٤١٤هـ

الموافق ١٠/٩/١٩٩٧م

---

(١) الفوائد ـ ص (٤٧)

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله ربه رحمة للعالمين ، بشيراً ونذيراً بين يدى الساعه ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

مامن إنسان إلا وله غاية فى هذه الدنيا ، يريد أن يصل إليها ، أو هدف يريد أن يحققه ، ويبذل فى سبيل ذلك الغالى والرخيص من الوقت والصحة والمال ، وكل ما يملك ليصل إلى ما يريد .

والأخت المسلمة التى تريد أن تلتزم بالإسلام كله ، ظاهراً وباطناً ، إنما تطلب من وراء ذلك سلعة الله الغالية ، وهى الجنة ، والوصول إليها يحتاج إلى تضحية وبذل وعطاء وصبر وثبات على الطريق الموصل إليها ، لأن طبيعة هذا الطريق تستلزم ذلك ، لما عليه من عقبات تحول بين المسلمة وبين ما تريد أن تصل إليه .

ونحن فى هذه الأيام التى يشعر فيها كل منا بغربة الدين ، يحتاج إلى من يبصره بالطريق ، ويأخذ بيديه ليصل به إلى بر الأمان ، ويعينه بعد الله تعالى على تخطى عقبات هذا الطريق ، حتى ينال ما عند الله تعالى من رضاه والجنة .

لذا فإنى قد رأيت وأنا ألقى الدروس والمحاضرات على النساء فى المسجد منذ ما يقرب من خمسة عشر عاماً ، أن أساعد أخواتى المسلمات على تخطى العقبات التى تقف أمامهن ، وهن فى طريقهن إلى الله ، بعرض هذه العقبات عرضاً يُبصر المريض بمرضه ، ويحذر الصحيح من الآفات والأمراض ، ثم أبين

لهن كيفية تخطى هذه العقبات ، مسترشداً فى ذلك بالأدلة الشرعية من الكتاب ، والسنة الصحيحة ، وأقوال أهل العلم الثقات .

لذا قسمت أبواب الكتاب إلى أربعة أبواب .

الباب الأول

(**سلعة الله الغالية**)، وتحدثت فى هذا الباب عن الجنة مرغباً فيها ، ومبيناً صفتها ، مكتفياً فى ذلك بذكر الآيات والأحاديث الصحيحة الواردة فى ذلك ، دون تعليق منى أو شرح ، اللهم إلا الكلمات الغريبة فقط . وقد جعلت الباب الأول فى صفة الجنة والترغيب فيها ،حيث أنها منتهى آمال المؤمنة ، فبدأت به حتى يكون حافزاً قوياً لها للسير على الطريق والصبر على لأوائه ، وآثرت الاختصار فى هذا الباب مكتفياً بما ذكرت ، حتى لا أبعد عن مقصود الكتاب ، ومكتفياً أيضا بذكر مرجع صحيح فى ذلك لكل من أرادت الاستزادة .

الباب الثانى

(**حفت الجنة بالمكاره**)، وتحدثت فى هذا الباب عن طبيعة الطريق الموصل إلى الجنة ، وأنه ليس بطريق ممهد ، بل طريق متاعب وآلام يضحى من أجله للوصول إلى الجنة ، ثم ذكرت بعض نماذج لبعض النساء المجاهدات الصابرات ، حتى يكن قدوة صالحة لمن تريد أن تقتدى .

الباب الثالث

(**فطوبى للغرباء**)، وأشرت فى هذا الباب للغربة التى ستشعر بها المسلمة أثناء سيرها على الطريق ، حتى لا تتعجب أو تصطدم بما لم يكن فى الحسبان فيزيدها ذلك ثباتاً على الطريق ، ثم ذكرت لها الوسائل التى تدفع عنها هذه الغربة ، وتطيب نفسها ، وتطمئن قلبها .

الباب الرابع

(العقبات وكيفية التغلب عليها)

وهو مقصود الكتاب ، فذكرت أهم العقبات التى تواجه الأخوات والسبيل إلى تخطى هذه العقبات.

الباب الخامس

(وساءل الثبات على دين الله)

فقد ختمت الأبواب بملخص لرسالة لطيفة للشيخ محمد المنجد حفظه الله ، وجدت لها صلة بموضوع الكتاب ، فقمت باختصارها مع شيء من التصرف.

أسأل الله تعالى أن أكون بذلك قد قدمت شيئاً لأخواتى المسلمات ، يثبتهن على الطريق إلى الله ، ويدفع عنهن كل نكوص ، وردة عن الطريق ، وأن يتقبله الله عنده بقبول حسن ، ويجزينى عليه خير الجزاء بعفوه وفضله .

يارب ! مالي غير لطفك ملجأ ... ولعلني عن بابه لا أُطْرَدُ
يارب ! هب لى توبة أقضى بها ... دَيْناً عليَّ به جلالك يَشْهدُ
أنت الخبير بحال عبدك إنه ... بسلاسل الوزر الثقيل مُقيدُ
أنت المجيب لكل داع يلتجي ... وأنت المجيب لكل من يستنجدُ
من أى بحرٍ غير بحرك نستقى ... ولأى باب غير بابك نقصدُ

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

كتبه
ابو احمد / عصام بن محمد الشريف
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الباب الأول
سلعة الله غالية

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : قدر السلعة يعرف بقدر مشتريها ، والثمن المبذول فيها ، والمنادى عليها ، فإذا كان المشترى عظيماً ، والثمن خطيراً ، والمنادى جليلاً ، كانت السلعة نفيسة[١] .

فهيا سوياً نستقرأ آيات الله ، وأحاديث رسوله الله ﷺ ، لنعرف سوياً ما هى هذه السلعة الغالية ، التى يُضحى من أجلها بكل شيء .

أولاً : من القرآن الكريم

قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ[٢] وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ﴾[٣] .

وقال تعالى ﴿ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ[٤] (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) ﴾[٥] .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ[٦] (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ

---

(١) الفوائد . (٢) النصب : التعب . (٣) الحجر – ٤٥ .
(٤) أى تسرون . (٥) الزخرف – ٦٨ . (٦) أى يأمن صاحبه فيه من كل مكروه.

(٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ[2] النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) ﴾[3]

وقال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) ﴾[4] .

ثانيا : من السنة الشريفة

روى الإمام البخارى فى كتاب « بدء الخلق » من صحيحه ، باب ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة ، عدة أحاديث منها :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : **قال رسول الله ﷺ : « قال الله ، أعددت لعبادىّ الصالحين مالا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . فاقرأوا إن شئتم « فلا تعلم نفس ما أُخفى لهم من قرة أعين »** .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : « **أول زمرة تلجُ الجنة ، صورتُهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يَبْصُقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون ، آنيتهم**

---

(١) الدخان .
(٢) نضرة النعيم أى بهجة التنعم وحُسْنه .
(٣) المطففين .
(٤) الطور .

فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوّة (أى العود الذى يبخر به) ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبى ﷺ : « **إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها** »(١) .

وروى الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب « الجنة وصفة نعيمها وأهلها» أحاديث منها :

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك ، فيقول هل رضيتم ، فيقولون ومالنا لانرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك ، فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون يارب وأىّ شىء أفضلُ من ذلك ، فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً** » .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **إن فى الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال ، فتحثو فى وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً** » .

وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « **إن أهل الجنة يأكلون**

(١) راجع فتحى البارى (٦ / ٣٦٥) .

فيها ويشربون ، ولا يتفُلُون ولا يبولون ، ولا يتغوطون ولا يمتخطون، وقالوا ، فما بالُ الطعام ؟ ، قال : جُشَاءٌ[١] ورشحٌ (عرق) كرشح المسك ، يُلْهَمُون التسبيح والتحميد كما تُلهمون النَّفسَ » .

وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « ينادى مناد إنَّ لكم أن تصحُّوا فلا تسْقَموا أبداً ، وإن لكم أن تَحْيَوْا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تَشبُّوا فلا تهرَمُوا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً ، فذلك قوله عز وجل « ونودوا أن تلكمُ الجنة أو رثتموها بما كنتم تعملون» .

وعن أبى بكر بن عبد الله بن قيْس عن أبيه عن النبى ﷺ قال : « إن للمؤمن فى الجنة لَخيْمةً من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلا يَرى بعضهم بعضا »[٢] .

وعن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«طوبى شجرة فى الجنة ، مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها »[٣] .

وروى مسلم فى صحيحه عن النبى ﷺ قوله : « إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهى كظيظ من الزحام »[٤] .

وروى الدارمى وغيره أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : « حدثنا يا رسول الله عن الجنة ما بناؤها ؟ فقال : « لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وملاطها (الطين) المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من

(١) جشاء : تنفس المعدة بإخراج الهواء منها .
(٢) راجع مسلم بشرح النووى (١٧ / ١٦٥) .
(٣) السلسلة الصحيحة للألبانى (٤ / ٦٣٩) برقم (١٩٨٥) .
(٤) كتاب الزهد (٨ / ٢١٥) .

يدخلهـا ينعم ولا يبـأس ، ويخلـد لا يموت ، لا تبلى ثيـابه ولا يفنى شبابه»(١) .

وروى البخارى عن أنس عن النبى ﷺ الحديث وفيه : « ... **ولـوا طلـعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها** » .

وروى البخارى أيضا عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ الحديث وفيه : « ... **إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم - الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة** » .وروى الترمذى عن أنس رضي الله عنه قال : « سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر ؟ قال : « ذاك نهر أعطانيه الله يعنى فى الجنة - أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ـ فيه طيرٌ أعناقها كأعناق الجزر » ، قال عمر : إن هذه لناعمة ، قال رسول الله ﷺ : « أَكَلَتُهاَ أنعم منها »(٢)

(فصل) خسارة من باع الجنة ونعيمها الدائم بأكدار الدنيا ومتاعها الفاني

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

ولما علَّمَ الموقنون ما خُلقوا له ، وما أُريد بإيجادهم رفعوا رءوسهم ، فإذا عَلَمُ الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغَبْن (٣)بيعُ مالا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر

---

(١) رواه أحمد والترمذى أيضا ، وحسنه الألبانى (المشكاة برقم ٥٦٣٠) ، (الصحيحة ٢ / ٦٩٣) برقم (٩٦٩) .
(٢) الغبن : الظلم والخداع .
(٣) بقية الماء فى الإناء .

على قلب بشر فى أبدٍ لا يزول ولا ينفد بُصبَابة(١) عيش ، إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار فى المنام ، مشوب بالنَّغَص ، ممزوج بالغُصَص ، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً ، وإن سرَّ يوماً أحزن شهوراً ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف مسراته ، أوله مخاوف وآخره متَالِف .

فيا عجباً من سفيه فى صورة حليم ، ومعتوه فى مِسْلاَخ(٢) عاقل ، آثر الحظ الفانى الخسيس ، على الحظ الباقى النفيس ، وباع جنة عرضها السموات والأرض ، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات ، ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار ، وأبكاراً عُرُباً أتراباً كأنهن الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان ، وحوراً مقصورات فى الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام ، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين ، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين ، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم ، وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المَعَازِف(٣) والغناء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد ، بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ، ونداء المنادى : يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا ، وتحيوا فلا تموتوا ،وتقيموا فلا تظعنوا ، وتشبوا فلا تهرموا ، بغناء المغنين .

وإنما يظهر الغَبْن الفاحش فى هذا البيع يوم القيامة ، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً ، وسيق المجرمون إلى جهنم وِرْداً ، ونادى المنادى على رءوس الأشهاد : ليعلمن أهل الموقف من أولى

(١) مِسْلاَخ : جلد . (٢) المَعَازِف آلات الموسيقى واللهو ، وكل ما يُعزف به .

بالكرم من بين العباد . فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام ، وادخر لهم من الفضل والإنعام ، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أي بضاعة أضاع ، وأنه لا خير له فى حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم أن القوم قد توسطوا مُلْكاً كبيراً لا تعتريه الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم فى جوار الكبير المتعال ، فهم فى روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسِرَّتها تحت الحِجَال[1] يجلسون ، وعلى الفرش التى بطائنها من إستبرق يتكئون ، وبالحور العين يتنعمون ، وبأنواع الثمار يتفكهون . يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يُصَدَّعُونَ عنها ولا يُنْزِفُون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون .

تالله لقد نودى عليها فى سوق الكساد ، فما قَلَّب[2] ولا استام[3] إلا أفراد من العباد ، فواعجباً لها كيف نام طالبُها ؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبُها؟ وكيف طاب العيشُ فى هذه الدار ، بعد سماع أخبارها ؟ وكيف قَرَّ للمشتاق القرار ، دون معانقة أبكارها ؟ وكيف قرت دونها أعين المشتاقين ؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين ؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ؟ وبأى شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين ؟ .

---

(١) الحِجَال : جمع حَجَلَة وهى قُبَّة تزين بالثياب والستور للعروس (مثل الناموسية فى الهيئة) .
(٢) أدارَ السلعة وفحصها .
(٣) استام : ساوم فى ثمن السلعة،والتقليب والمساومة لا تكون إلا فى السلعة التى يهتم بها الإنسان ويرغب فى شرائها .

شعر في وصف الجنة

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها ... سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حُجبت عنا بكل كريهةٍ ... وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم
فلله ما في حشوها من مسرةٍ ... وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيشِ بين خيامها ... وروضاتها والثغْرُ في الروض يبسمُ
ولله واديها الذى هو موعد المزيد ... لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادى يهيم صبابة ... مُحبٌ يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما ... يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة ... فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة ... أمن عدها يسلو المُحبُ المُتيَّمُ
ولله كم مِن خيْرَةٍ(١) إن تبسمت ... أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار إن هى أقبلت ... ويا لذة الأسماع حين تكلم
ويا خجلة الغصن إذا انثنت ... ويا خَجْلَةَ الفجرين حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها ... فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
ولا سيما فى لَثْمِها(٢) عند ضَمِّها ... وقد صار منها تحت جيدك معصم
تراه إذا أبدت له حسن وجهها ... يلذ به قبل الوصال وينعم
تفكه منها العين عند اجتلائها ... فواكه شتى طَلْعُها ليس يعدم
عناقيد من كَرْمٍ وتفاح جنةٍ ... ورمان أغصانٍ به القلبُ مغرم
وللورد ما قد ألْبسته خدودها ... ولِلْخَمْر ما قد ضمه الريقُ والفم
تقسم منها الحسن فى جمعٍ واحدٍ ... فيا عجباً من واحد يتقسم
لها فِرَقٌ شتى من الحسن أجمعت ... بجملتها إن السَّلُوَ محرم
تُذَكِّرُ بالرحمن من هو ناظر ... فينطق بالتسبيح لا يتلعثم

---

(١) خيْرَة : المرأة الخيَرة المختارة التى لا شر فيها ولا أذى والمقصود هنا : نساء الجنة أو الحور العين .
(٢) لثمها : تقبيلها .

إذا قابلت جيش الهموم وجهها ... تولى على أعقابه الجيشُ يهزم
فيا خاطب الحسناء إن كنت راغباً ... فهذا زمان المهر فهو المقدم
ولما جرى ماءُ الشباب بغصنها ... تيقن حقاً أنه ليس يَهْرَم
وكُنْ مُبغضاً للخائنات لحبها ... فتحظى بها من دونهن وتنعم
وكن أيِّماً ممن سواها فإنها ... لمثلك فى جنات عدن تأيم
وصُمْ يومك الأدنى لعلك فى غد ... تفوز بعيد الفطر والناس صُوَّم
وأَقْدِم ولا تقنع بعيش مُنَغَّص ... فما فاز باللذات من ليس يُقْدِم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ... ولم يك فيها منزلٌ لك يُعْلَم
فَحَيَّ على جنات عدن فإنها ... منازلنا الأولى وفيها المُخَيَّم
ولكننا سَبْيُ العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى ... وشَطَّت به أوطانه فهو مُغْرَم
وأى اغتراب فوقَ غُربتنا التى ... لها أضْحَت الأعداءُ فينا تُحَكَّم
وَحَيَّ على السوق الذى فيه يلتقى الـ ... ـمحبون ذاك السوقُ للقوم يُعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له ... فقد أَسْلَفَ التُجَّارُ فيه وأسلموا
وَحَيَّ على يوم المزيد الذى به ... زيادةُ رب العرش فاليومَ موسمُ
وَحَيَّ على وادٍ هُنالكَ أَفْيَحَ ... وتربتُه من أَذْفَرِ المسْك أعظم
منابر من نورٍ هناك وفضة ... ومن خالصِ العِقْيَان[1] لا تتقصم
وكثبانِ مسك قد جُعِلْنَ مَقاعداً ... لمن دونَ أصحابِ المنابرِ يعلم
فبينا هُمُو فى عيشهم وسرورهم ... وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم
إذا هُمُ بنور ساطع أشرقت له ... بأقطارها الجنات لا يتوهم
تجلى لهم رب السموات جهرة ... فيضحك فوق العرش ثم يُكَلِّم

---

(١) العِقْيَان : الذهب الخالص .

سلام عليكم يسمعون جميعهم ... بآذانهم تسليـــمــــه إذ يُسَلِّمُ
يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما ... تـريـدون عـنـدي إنـنـي أنـا أرحـمُ
فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا ... فأنت الذي تُولي الجميلَ وترحم
فيعطيهم هذا ويشهدُ جَمْعُهُم ... عليـــه تعـــالى الله فـــالله أكـــرم
فـيـا بائعـاً هذا بِبَخْسٍ مُعَجَّلٍ ... كـأنك لا تدري ، بلى سـوف تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم[(١)]

فيا أيتها الأخوات المسلمات..

اهتفن بالقلوب لعلها تستيقظ من رقدتها ، و صرفن نفوسكن عن موارد الهلاك ، فقد ناحت الدنيا على أهلها بألسن الإنقلاب ، ولاحت لاكن من الآخرة شواهد الاقتراب ، وأنتن عما أضلكن منها غافلات ، وبما غرّكن وألهاكن عنها متشاغلات ، كأنكن بحقيقة معرفتها جاهلات ، أو كأنكن إلى غيرها راحلات ، فإن لله مردنا إليه راجعون .

فاتركن ما أنتن عنه منقلبات ، وانهضن في التزود ولما أنتن إليه صائرات ، واجعلن الجنة نصب أعينكن ، لا تغفلن عنها أبداً ، حتى تصبحن في الجنة من الساكنات ، اللائي رضي الله عنهن، ورضين عنه .

(١) انظر «روح وريحان من نعيم الجنان» لعبد الحميد الدخاخني وهو المختصر الصحيح من كتاب الإمام ابن القيم «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٣٠ ـ ٣٤) .

الباب الثانى
حُفت الجنة بالمكاره

السائر إلى الله والراغب فى نيل رضاه والجنة ، لابد أن يجد أثناء سيره ما يعوقه عن السير ، فإن لم يعلم ذلك من البداية ، ولم يعرف طبيعة الطريق الذى يمشى فيه وكيفية تخطى العقبات والمكاره ، مع إيمانه القوى بوجوب التحمل والثبات والتضحية واحتساب الأجر عند الله تعالى وحده ، ما استطاع أن يصل إلى ما يريد ، بل ربما يرجع القهقرى نتيجة ضعفه أو خوفه أو عدم تحمله لمشاق هذا الطريق .

وقد كان رسول الله ﷺ يلاقى هو وأصحابه من الفتن والمصائب والشدة ما يلاقونه ، ولكنهم صبروا وتحملوا الأذى فى سبيل الله .

ولقد كان الوحى ينزل عليهم بالتوجيهات الإلهية - التى كانت بمثابة منهج لتربية من حكيم خبير - التى تنير لهم الطريق وتهون عليهم ، وترزقهم الصبر والثبات (وكانت هذه التوجيهات الإلهية تتوالى عليهم هادية ومرشدة لهم لإعداد أنفسهم لتكاليف الأمانة التى لا مفر منها ولا محيص عنها ، ولكى يقبلوا عليها راضية نفوسهم ، مستقرة ضمائرهم)(١). إنَّ هذه التوجيهات كانت تبين لهم أن مايلاقونه من الشدائد ، إنما هو سنة الله تعالى فى تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة ، وليكونوا أهلاً لها .

قال تعالى﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(٢) .

(١) الابتلاء وأثره فى حياة المؤمنين كما جاء فى القرآن الكريم » لعبد الله ميرغنى محمد صالح - جامعة الإمام بالرياض ص ٤٩ .
(٢) البقرة ٢١٤ .

قال صاحب الظلال : ﴿ وهذا هو الطريق إلي الجنة ، كما يصفه الله للجماعة المسلمة الأولي ، وللجماعة المسلمة في كل جيل . هذا هو الطريق : إيمان وجهاد ، ومحنة وابتلاء ، وصبر وثبات ، وتوجُّه إلي الله وحده ، ثم يجيء النصر ، ثم يجيء النعيم ﴾(١) .

وروى مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «حُفَّت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات »(٢) .

[فطريق الجنة إذن محفوف بالمكاره ، وزاده التقوى والصبر على مشاق الطريق ، ثم الصبر على تكاليف الجهاد وعلى معاناة البلاء ، وليس زاده التمنى والأمانى الطائرة ، التى لا تثبت على المحنة والشدائد والبلاء](٣) .

وقال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾(٤)

قال ابن كثير رحمه الله : أى لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا ، ويرى الله منكم المجاهدين فى سبيله ، والصابرين على مقاومة الأعداء »(٥) .

وقال تعالى ﴿ الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾(٦) .

قال المراغى فى تفسيره : يقول تعالى « أيها الناس ، لاتظنوا أنى خلقتكم سدىً ، بل خلقتكم لترقوا إلى عالم أعظم من عالمكم ، وأرقى منه فى كل شئونه ، ولا يتم ذلك إلا بتكليفكم بعلم وعمل ، واختباركم من آن إلى آخر

(١) فى ظلال القرآن (٢ / ٢١٨) .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (١٧ / ١٦٥) .
(٣) الابتلاء ص ٥٣ .
(٤) آل عمران – ١٤٢ .
(٥) تفسير ابن كثير (١ / ٤٠٨) .
(٦) العنكبوت – (١ : ٣)

بإنزال النوازل والمصائب ، فى الأنفس والأموال والثمرات ، والتخلى عن بعض الشهوات ، وفعل التكاليف من الزكاة والصيام والحج ونحوها .

فحياتكم حياة جهاد وشدة ، شئتم أم أبيتم ، وبمقدار ما تصبرون على هذا الاختبار وتفوزون بالنجاح فيه ، يكون مقدار الجزاء والثواب ، وتلك سُنّة الله فيكم وفى الأمم من قبلكم ، وتاريخ الأديان ملىء بأخبار هذا البلاء وما لقيه المؤمنون من المكذبين بالرسل »[1] .

لذا فإنه على الأخت المسلمة أن توطن نفسها على ذلك ، وأن تصبر وتحتسب الأجر عند الله تعالى ، ولا تعجز ولا تضعف ، حتى تنال ما عند الله من نعيم الجنة.

(فصل) في فوائد الابتلاء

حاشا لله أن يعذب عباده المؤمنين بالابتلاء ، أو أن يؤذيهم بالفتنة ، ولكن تتجلى رحمة الله تعالى وحكمته فيه ، فمن فوائد الابتلاء :

١ - تربية المؤمنين وصقل معادنهم وتمحيص مافى قلوبهم ، فهم ينضجون بالمحن كما ينضج الطعام بالنار .

قال تعالى ﴿ **وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** (١٥٤) ﴾[2] .

٢ - رفع درجات المؤمنين ، ومضاعفة حسناتهم ، وتكفير خطاياهم ، حتى يمشى أحدهم على الأرض وما عليه خطيئة .

قال ﷺ : « **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة** »[3] .

(١) تفسير المراغى (٢٠ / ١١٣) . (٢) آل عمران - ١٥٤ .
(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح وقال الألبانى :صحيح (صحيح الجامع برقم ٥٨٢٨) .

وقال ﷺ أيضا : « **ما يصيب المسلم من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولاحزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**» (١) .

٣ – تطهير الصف المؤمن من أدعياء الإيمان من المنافقين والذين فى قلوبهم مرض ، فإبان العافية والسراء يختلط الحابل بالنابل ، والخبيث بالطيب ، وإنما يقع التمييز بين الأصيل والدخيل ، بالمحن والبلاء ، كما يتميز الذهب الحقيقى من الزائف بالامتحان بالنار .

قال تعالى ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** ﴾(٢) .

٤ – الإعداد الحقيقى لتحمل الأمانة ، وهو لايتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق ، وبالاستعلاء الحقيقى على الشهوات ، وبالصبر الحقيقى على الآلام .

أيتها الأخوات المسلمات :

(إن طريق الجنة ليس مفروشا بالأزهار والرياحين ، بل محفوف بالمكاره والشدائد والمحن والإبتلاءات . والزاد فى هذا الطريق هو الصبر والتقوى فيحتاج المؤمن إلى صبر على المكاره ليدخل الجنة ، وإلى صبر عن الشهوات لينجو من النار ، قال تعالى ﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا**

(١) رواه البخارى وغيره .
(٢) ١٧٩ آل عمران، راجع أهمية الجهاد فى نشر الدعوة الإسلامية للدكتور على بن نفيع العليانى .

صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)﴾[(١)](٢).

(فصل) نماذج من سير النساء المجاهدات الصابرات

وهذا نموذج صادق بلغته امرأة مؤمنة ظهر من خلاله قوة إيمانها بالله تعالى وجلال صبرها ، وشدة عزيمتها ومجاهدتها لنفسها ، وهو موقف أم سُلَيم .

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « مرض أخٌ لي من أبي طلحة يُدعى أبا عُمير ، فبينا أبو طلحة في المسجد مات الصبي ، فهيأت أم سليم أمره وقالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه » ، فرجع من المسجد ، وقد تطيبت له وتصنعت ، فقال : « ما فعل ابني » ؟ ، قالت: « هو أسكن مما كان » ، وقدمت له عشاءه ، فتعشى هو وأصحابه الذين قدموا معه ، ثم قامت إلى ما تقوم له المرأة ، فأصاب من أهله ، فلما كان آخر الليل قالت : « يا أبا طلحة ، ألم تر آل فلان ، استعاروا عارية ، فتمتعوا بها ، فلما طُلبت إليهم شقّ عليهم [(٣)] ؟» . قال : « ما أنصفوا ، قالت : « فإن ابنك فلاناً كان عارية من الله فقبضه إليه » .. فاسترجع .. وحمد الله وقال : « والله لا أدعك تغلبيني على الصبر » . حتى إذا أصبح غدا على رسول الله ﷺ فلما رآه قال : « بارك الله لكما في ليلتكما » ، فاشتملت منذ تلك الليلة على عبد الله بن أبي طلحة ، ولم يكن في الأنصار شاب أفضل منه ، وخرج منه رجلٌ كثير ، ولم يمت عبد الله حتى رزق عشر بنين كلهم حفظ القرآن ، وأبلى في سبيل الله »[(٤)] .

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « **شهدت أم سُلَيم « حُنيناً » مع رسول الله ﷺ ومعها خنجر قد حزمته على وسطها ، وإنها يومئذ حامل بعبد الله بن**

(١) الرعد - (٢٢ : ٢٤) .
(٢) الابتلاء ص (٦٢).
(٣) قال النووي شرح مسلم (١١/١٦) وضربها لمثل العارية دليل لكمال علمها وفضلها وعظم إيمانها وطمأنينتها.
(٤) راجع أحكام الجنائز وبدعها للألباني .

طلحة ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله إن أم سُلَيْم معها خنجر . فقالت : يا رسول الله أتخذه إن دنا مني أحدٌ من المشركين بقرت بطنه ، أقتل به الطلقاء ، وأضرب أعناقهم إن انهزموا بك . فتبسم رسول الله ﷺ وقال : «يا أم سُلَيْمْ ، إن الله قد كفى وأحسن »[1] .

وضربت أم ابراهيم العابدة دابة فكسرت رجلها ، فأتاها قوم يُعزونها فقالت : لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة مفاليس » [2] .

وهناك من النساء من ضربن المثل الأعلى ، والقدوة الحسنة فى الصبر من أجل دينهن ، فمنهن من كانوا يلقونها ، ويحملون لها مكاوى الحديد ، ثم يضعونها بين أعطاف جلدها ، ويدعون الأطفال ليعبثون بعينها حتى يذهب بصرها .

وممن عُذِّب بهذا العذاب زنيزة جارية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان هو وجماعة من قريش يتولون تعذيبها ، ولما ذهب بصرها قال المشركون :«ما أصاب بصرها إلاَّ اللات والعزى » فقالت لهم :«والله ما هو كذلك ، وما تدرى اللات والعزى من يعبدهما ، ولكن هذا أمرٌ من السماء والله قادرٌ على أن يرد عليَّ بصرى .

ومن النساء أيضاً اللائى أبلين بلاءً حسناً ، من كانوا يسقونها العسل ، ويوثقونها بالأغلال ، ثم يلقونها بين الرمال ، ولها حر يذيب اللحم ، ويصهر العظم ، حتى يقتلها الظمأ ، ومنهن أم شريك ، وجارية لبنى المؤمل ، والنساء رضى الله عنهن جميعاً.[3] .

○ ○ ○

---

(١) صححه الحافظ فى الإصابة (٨ / ٢٢٩) .
(٢) صفة الصفوة لابن الجوزى (٣ / ١٩٠) .
(٣) انظر عودة الحجاب ــ للشيخ محمد إسماعيل (٥٣٩/٢ : ٥٦٤) .

الباب الثالث
فطوبى للغرباء

لابد أن تفهم الأخت المسلمة وهى فى طريقها لطلب رضا الله والجنة ، أنها ستكون غريبة ولابد ، وستشعر بالغربة ، حتى بين أقرب الناس إليها وأحبهم إلى قلبها – إن لم يكونوا يسيرون فى نفس الطريق – لأننا فى زمن لا يفهم فيه كثير من الناس الإسلام الصحيح إلا من رحم الله ، فلا تجزع من ذلك ولا تهن ، بل تعلم أن ذلك من صحة سيرها على الطريق .

عن أبى هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ :

« **بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً ، فطوبى**[١] **للغرباء** »[٢] وفى تفسير معنى الغرباء وردت أحاديث منها :

١ – « .. الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى »[٣] .

٢ – « .. الذين يُصلحون إذا فسد الناس »[٤]

٣ – « .. أناس صالحون فى أناس سوءٍ كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم »[٥]

وقد قسَّم الشيخ سلمان بن فهد العودة المعنى العام للغربة إلى صورتين :

الأولى : غربة أهل الإسلام فى أهل الأديان فى كل زمان ومكان ، فالمسلمون فى الكفار هم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود .

وهذه الحقيقة الثابتة – شرعاً وقدراً – وهى قلة المؤمنين فى جنب الكفار توجب للمسلم نظرة متوازنة معتدلة :

(١) قيل فى معناها : الخير والفرح والنعيم ، وقيل الجنة ، وقيل شجرة فى الجنة .
(٢) رواه مسلم وابن ماجه وأحمد وغيرهم . (٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط وهو حديث حسن . (٥) رواه أحمد وغيره وهو حديث حسن .

(أ) فالذين يطمعون فى تطهير الدنيا من الكفر والشرك مثاليون ، لأن الصراع بين التوحيد والشرك سيظل قائماً حتى يأتى أمر الله .

(ب) والذين يتخذون من هذه الحقيقة تكأة للقعود عن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، وبذل الجهد فى هذا السبيل مخطئون أيضا ، لأن هذه الحقيقة لم تمنع النبى ﷺ ولا أصحابه من الجهر بالدعوة ، والتضحية فى سبيلها ، والصبر عليها .

الثانية : هى غربة أهل السنة الصابرين عليها ، والمنتسبين إليها ، البرآء مما عداها فى أهل الأسلام .

وغربة هؤلاء فى المسلمين ، قد تكون فى كثير من الأحيان أشد من غربة المسلمين فى سائر الأديان ، وكلما ازداد تمسك هذا الغريب بالسنة – علماً وعملاً – ازدادت غربته وقل مُشاكلوه وكثر مخالفوه ، فهو مسافر فى طريق طويل ذى مراحل ، ومعه أصحاب ، كلما قطع مرحلة انقطع بعضهم حتى لا يكاد يواصل السير معه إلا القليل .

ويجد هذا الغريب كرب الغربة ولأواءها وشدتها على النفس ، حين يكون المنابذون له ، المسفهون لرأيه ، هم من إخوته فى الدين !

وظلم ذوي القربي أشد مضاضــةً

علي المرء من وقع الحسام المهنَّـــد

فالمسلم لا يجب أن يحاربه الكفار ، ويضعوا العقبات والأشواك فى سبيله، بل العجب لو لم يفعلوا ذلك .

لكن أن يكون إخوانه فى الدين هم القائمين بهذا الإيذاء ، فذلك الجرح

الذى لا يندمل ، ولذلك قال سفيان الثورى رحمه الله :

« استوصوا بأهل السنة خيراً ، فإنهم غرباء »[١] .

هل فهمتى الآن أيتها الأخت المسلمة ، معنى وحقيقة الغربة التى ستقابلينها ، حتى لا تشعرين بضيق أو حزن ، أو يحدث عندك انهزام نفسى يوقفك عن السير إلى الله .

ربما تجدين الغربة بين أهلك فى البيت الواحد ، مع والديك أو مع زوجك وربما مع أقاربك أو جيرانك وهكذا ، المهم أن يكون شعورك بهذه الغربة دافعاً لك إلى مزيد من العطاء والتضحية والتحمل ، والقيام بالدعوة إلى الله علماً وعملاً ، لا عائقاً لك عن السير إلى الله .

وإليك أهم الوسائل التى تعينك على دفع هذه الغربة ما أمكن :

١ - الصحبة المؤمنة ، حيث تواجدك فى مجتمع الأخوات المستقيمات الذى يجعلك تشعرين دائماً بالمناخ الآمن المطمئن ، والذى يدفع عنك وساوس الشيطان ، ويعنيك على طاعة الله تعالى .

٢ - القيام بمهمة الدعوة إلى الله، حيث تعليم غيرك العلم الشرعى ، وقيامك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مما يجعلك دائماً فى إيمان متزايد ، واتصال وثيق بالله ، يدفع عنك الشعور بالغربة والوحدة .

٣ - الصبر ، فعلى وهج النار الملتهبة ـ نار الفتنة بجميع أنواعها ـ تتميز معادن الناس ، فينقسمون إلى مؤمنين صابرين ، وإلى مدّعين أو منافقين ، وينقسم المؤمنون إلى طبقات كثيرة بحسب شدة صبرهم وقوة احتمالهم .

---

(١) الغرباء الأولون ص (٤٨ : ٥١) باختصار وتصرف .

فبالبصر تحفظ المسلمة على نفسها نقاء عقيدتها ، وصفاء إيمانها ، وحمايتها من الردّة التى تطل برأسها على صورة مذاهب أو مناهج أو أفكار بالية عفنة .

٤ – ذكر الله تعالى ، الذى يجعل المسلمة دائماً فى اتصال وثيق مع الله، فتطمئن نفسها دائماً وتسكن وتهدأ ، وتنتصر دائماً على شيطانها ووساوسه .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) ﴾[١] .

وفى الحديث القدسى : « **أنا عند حسن ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسي وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وإن تقرب منى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت منه باعاً وأن أتانى يمشى أتيته هروله** »[٢] .

٥ـ الاكثار من تلاوة القرآن الكريم بتدبر وخشوع

وذلك لأن مثل هذه القراءة الخاشعة تجلى البصائر الكليلة وتشفى الصدور العليلة ، فإذا لزمت المسلمة التلاوة فى تمهل وتدبر وتخشع، نزلت عليها السكينة والطمأنينة وقرّت عينها وقلبها بأنوار القرآن وإلى هذا يدعونا الله تبارك وتعالى فيقول﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ (٢٩) ﴾[٣] .

❋ ❋ ❋

(١) الأحزاب (٤١ : ٤٢) .
(٢) رواه الشيخان .
(٣) ص (٢٩) .

الباب الرابع
العقبات وكيفية التغلب عليها

العقبة الأولى : قرينات السوء

الصحبة الفاسدة القديمة ، التى لا تدعها تفكر فيما يصلحها ، وينجيها ، لايريدونها تتركهن وتذهب فى طريق آخر ، فهن متبرجات ويردنها هى الأخرى أيضا متبرجة ، هن يذهبن إلى النوادى ودور السينما والمسارح ويختلطن بالرجال ، فلماذا تنعزل هى عنهن ؟

حرب ضروس تشنها هذه الصحبة الفاسدة ، حتى تتقاعس عن التمسك بدينها ، تأثراً بهن ، أو حرجاً منهن ، ثم لا يغنين عنها من الله شيئاً يوم القيامة .

وكم من فتاة تحطمت ، وانتكست ، وتبلد حسها ، ووهنت مشاعرها ، بسبب الرفقة السيئة .

وكم من فتاة تهدمت حياتها ، وانسلخت من دينها وأخلاقها ، وأصبحت منبوذة من المجتمع بسبب قرينات السوء .

وكم من فتاة نست ربها وعقت والديها ، وأخذت تنغمس فى الملذات والشهوات مع رفقة هم شياطين الإنس .

وكم من فتاة تعرت ، وأصبح التبرج عندها ديناً ، وأضاعت الصلاة ، ولم تعرف للآخرة طريقاً ، ولا لطاعة ربها ونبيها سبيلاً ، بسبب رفقة السوء .

وقد حذرنا الشرع الحنيف من الرفقة السيئة ، وحثنا على صحبة الصالحين الطيبين .

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (٢٩) ﴾[١] .

وقال أيضا ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) ﴾[٢]

.وعن أبى موسى الأشعرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال : « **إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحْذيَكَ[٣] وإما أن تبتاع منه[٤] وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة** »[٥]

وعن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال :« **لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقى** »[٦]

وعن أبى موسى الأشعرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال :

« **المرء مع من أحب** »[٧]

وقال أيضا : « **المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل** »[٨]

قال أحد العلماء : الأصحاب ثلاثة : صاحب كالهواء ، وصاحب كالدواء، وصاحب كالداء ، أما الصاحب الذى كالهواء ، فهو الذى لا تستغنى عنه ، وهو الذى يقربك من الله ، ويعرفك على الله ، ويحبب إليك ذكر الله . والصاحب الذى كالدواء هم أهل المنافع ، لا تحتاج إليه إلا وقت الطلب كالخباز والنجار وغيرهما . والصاحب الذى كالداء فهو الذى يعديك وهو كالسم الزعاف ، وهو الذى يقربك من النار ، ويقودك إلى الخزي فى

---

(١) الفرقان (٢٧ : ٢٩) . (٢) الزخرف – ٦٧ . (٣) أى يُعطيك.
(٤) أى تشترى منه . (٥) متفق عليه.
(٦) رواه أبو داود والترمذى ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٧٣٤١) .
(٧) متفق عليه . (٨) رواه الترمذى وابن ماجه وأبو داود (٢ / ١٢٢٦) برقم ٧٣٤١.

الدنيا والآخرة .

وقال بعض العارفين : الأخ الصالح خيرٌ من نفسك ، لأن النفس أمارة بالسوء ، والأخ الصالح لا يأمر إلا بالخير .

وصدق الشاعر حين قال :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه　　فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم　　ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وقال آخر :

أنت في الناس تقاس　　بمن اخترت خليلاً

فاصحب الأخيار تعلوا　　وتنل ذكراً جميلاً

وقال آخر :

همـوم رجالٍ في أمورٍ كثيرةٍ　　وهمي في الدنيا صديقٌ مساعدٌ

نكون كروح بين جسمين قُسَمت　　فجسماهما جسمان والروح واحد

يقول الإمام الشافعي رحمه الله : لولا القيام بالأسحار ، وصحبة الأخيار ، ما اخترت البقاء في هذه الدار .

ويقول أحد السلف : عليك بصحبة أهل الخير ممن تسلم منه في ظاهرك ، وتعنيك رؤيته على الخير ويذكرك الله .

ويقول آخر : ينبغي للمؤمن أن يجانب طُلاَّب الدنيا ، فإنهم يحثونه على طلبها ، وذلك يبعده عن غايته ، ولابد أن يحرص ويجتهد في عشرة أهل الخير وطلب الآخرة .

(فصل) أثر الصحبة الطيبة

ظهر من الأدلة السابقة من الكتاب والسنة ، أنَّ الصحبة الطيبة ، والرفقة الصالحة ، تسير بك إلى الله ، وتدلك على الخير ، وتدعوك إلى النور والهداية .

الرفقة الصالحة تنتفعين بدعائها لك حية وميتة ، وتذكرك بالخير والصلاح عند غيرك ، وتذب عن عرضك فى مغيبك وحضرتك .

الرفقة الصالحة تعينك على طاعة الله ، وإن رأت منك تهاوناً أو تقصيراً شدُّوا على يديك ، وزادوا فى همتك ، وحذروك من همزات الشياطين .

لذلك فإن الصحبة الطيبة من أعظم الأسباب لهداية المرء ، بعد فضل الله تعالى ، ولعل هذه الصحبة الخيرة من الذين قال فيهم النبى ﷺ : « **إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر** »(١)

وهذه قصة لفتاة كان للصحبة الطيبة الأثر العظيم فى انتشالها من حياة الغفلة والضياع إلى النور والخير والسعادة ، فأصبحت بعد ذلك من الداعيات لله. تقول عن نفسها :

عشت بداية حياتى فى ضلال وضياع ، وغفلة بين سهر على معاصى الله ، وتأخير للصلاة عن وقتها ، ونوم ، وخروج للملاهي والحدائق ، والافتتان بالأزياء والموديلات افتتاناً شديداً . بل إن هذه التوافه كانت تشغل تفكيرى حتى فى الصلاة .

واستمريت على هذه الحالة ، وحالتى تزداد سوءاً يوماً بعد يوماً ، وفى نهاية

---

(١) حديث حسن ، رواه ابن ماجه (السلسلة الصحيحة برقم ١٣٣٢)، وانظر صحيح الجامع برقم (٢٢٢٣) .

المرحلة الثانوية ، يسر الله لى الهداية على يد مجموعة من الأخوات ، استمعت إلى حديثهن فأثر ذلك فيّ ، مما جعلنى بعد التخرج ودخول الجامعة ، التحق بقسم الدراسات الإسلامية . أمّا حب الدنيا وحب الموديلات التى كانت تسيطر على كيانى فقد أزاله الله عنى ، وهذا من فضل الله عليّ ورحمته بى[(١)]

وهذا ابن القيم رحمه الله يقول عن شيخه ابن تيمية :

وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساءت منا الظنون ، وضاقت بنا الأرض ، أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا .

وقال أحد السلف : جزاء من صاحب الصالحين ثلاثة أمور :

أن يزيده الله علماً وفهما وتوفيقاً ، وأن تدركه دعوتهم فى الدنيا ، وأن ينال شفاعتهم فى الآخرة .

وبالجملة فالصحبة الطيبة منفعة لك من كل وجه فى دينك ودنياك، كما قال ﷺ : «**مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شئ نفعك**»[(٢)]

❋❋❋

(١) العائدون إلى الله – لمحمد المسند بإختصار .
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عمر ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٥٨٤٨) .

(فصل) أثر الصحبة السيئة

تجنبى أيتها المسلمة من لا تبالى بالمعاصى والمنكرات . تجنبى من لاهمَّ لها إلا إبداء زينتها ومفاتنها ، وإظهار محاسنها للرجال الأجانب . تجنبى من ابتليت بحب الأسواق ، والافتتان بالمجلات الهابطة والموديلات والأزياء ، حتى أصبحت شغلها الشاغل . تجنبى من لا تعرف طريق الذكر والقرآن ، بل تعرف طريق السينما والأفلام والتلفاز .

فهم كما قال أحد السلف : يخونون من رافقهم ، ويفسدون مِن صادقهم، قُربهم أعدى من الجرَب ، البعد عنهم من استكمال الدين ، والمرء يعرف بقرينه فيا أيتها المسلمة :

(أحذرك من قرينة السوء ، أحذرك من معسولة الكلام ، أحذرك ممن تدس السم فى الدسم ، أحذرك ممن أعطاها الله بلاغة فى الكلام ، فتسخره للطعن فى الاسلام وتمجيد وتعظيم الكفار ، أحذرك ممن لا تهتم بالمعاصى ولا تبالى بالمنكرات ، فكم من فتاة تحطمت حياتها بسبب قرينات السوء ، وكِم من فتاة بصمت أسرتها بالخزى والعار بسبب صاحبات السوء . فانتبهى يا أُخيه وانظرِى لمن حولك ولمن تصاحبين ، وابحثى عن صديقة طيبة لك تعينك على الخير ، وتذكرك إذا نسيت)[١]

وهذه قصة ضحية من ضحايا الرفقة السيئة .

(قصة لطالبة كانت لها صديقة سيئة الأخلاق ، فماذا جلبت لها ؟

تقول الطالبة : لى صديقة دعتنى يوماً إلى منزلها ، وفى غرفتها الخاصة وبعد أن تحادثنا كثيراً عن المدرسة وعن الثياب ، ثم عن أسماء بعض الروايات

---

(١) عودة فتاة لابراهيم المحمود بإختصار وتصرف .

الماجنة ، رأيت صديقتى قفزت فجأة ، وأخرجت من بين ثنايا الثياب شريط فيديو ، ثم أحكمت باب غرفتها ؟ وسألتنى هل شاهدتى فيلماً جنسياً من قبل ؟ ذهلت لسؤالها المفاجىء ، ثم لم تنتظر منى الإجابة ، بل وضعت الشريط وأدارت الجهاز ، فاستدرت أنا وأعطيتها ظهرى ، وطلبت منها فتح الباب لأنصرف ، وقلت لها : هذا ليس من أخلاقى وأخلاقك ، ما الذى حدث لك ، فلم تجبنى ، وقامت فوضعت يدها على كتفى وأدارت وجهى وهى تقول : افتحى عينيك لَقْطة واحدة فقط ، هيا افتحى عينيك ، أرجوك .

وفتحت عينى وليتنى لم أفعل ، شاهدت أمراً مهولاً رهيباً ، وشعرت كأن جماراً ملتهباً دخل من رأسى إلى عينى ، وشعرت بقبضة فى صدرى ، فصرت لأأنام الليل ، وأخذنى الهم والسهر والحزن ، فهذا المشهد ليس من سلوكى ولا أخلاقى ولا تفكيرى .

إنها قرينة السوء التى زينت لى هذا الفعل الدنيء الحقير . أصبح هذا المشهد أمامى فى الصلاة ، فى الفصل ، وفى كل مكان ، إننى مصابة بمرض نفسى يكاد يقتلنى)[١]

كيفية التغلب على هذه العقبة

وبعدُ ، أيتها الأخت المسلمة ، فقد ظهر لك مما سبق أهمية الصحبة الطيبة ، وخطر الصحبة السيئة ، فإن كنت تريدين تخطي هذه العقبة الكؤود، فعليك بهذه النصائح :

١ – عليك باستنفاذ الوسائل الممكنة والمتاحة لك فى دعوة صُحبتك القديمة ، كى يسرن معك فى طريق النور الهداية .

(١) قرناء السوء دمروا حياتى ، لنوال بنت عبد الله .

٢ – إنهاء هذه الخلة والصداقة معهن ، بعد استنفاذك لكل الوسائل ، وشعورك بأن بقاء صحبتك لهن تضرك .

٣ – الالتحام والارتباط بالصحبة المؤمنة الجديدة ، ومجالستهن وعدم الانصراف عنهن ، فبهن تتأثر المسلمة ، ومنهن تتعلم ، وبهن تقوى إن شاء الله تعالى على تخطى عقبات كثيرة بإذن الله .

٤ – لابد من تحديد مواصفات الصحبة الخيِّرة لك ، وإليك أهمها :

(أ) أن تكون صاحبتك متمسكة بدينها عاملة بمقتضاه من الأوامر ، مجتنبة النواهى .

(ب) أن تكون ذا خلق قويم ، حافظة للسانها وجوارحها .

(جـ) أن تكون ممن يعرفن الطريق إلى المسجد ، وإلى كتاب الله ، الحريصة على التفقه فى الدين .

(د) ألا تكون صاحبة دنيا ، تحرص على الدنيا وزخرفها ، مفتونة بها ، مشغولة بطلبها .

(هـ) أن يكون الحياء شعارها ، وأن تحب لأخواتها من الخير ماتحبه لنفسها

العقبة الثانية : ضغط الأهل والأقربين

أرسلت لى مجموعة من الأخوات رسائل يسألن فيها عن المخرج والسبيل. فهذه أمها لا تريدها أن تلتزم بالجلباب الواسع والخمار الطويل ، وأخرى والديها أو أحدهما لا يوافقان على ارتدائها النقاب ، وثالثة يمنعها زوجها من الذهاب إلى المسجد لحضور دروس العلم ، ورابعة تشكو من سخرية أقاربها وأهلها وجيرانها لها بسبب التزامها واستقامتها على الدين ، وخامسة وسادسة ..... الخ. والمتأمل فى واقع الناس يجد أن الأهل يحدوهم الخوف على أبنائهم من أن يصابوا بأذى ، وبعضهم الآخر تأخذه العزة بالإثم ويكبر عليه أن يسبقه صغيره بالهدى ، فيحاول صده والضغط عليه بشكل أوبآخر ، وكثير من الأمهات يعتقدن أن سلوك بناتهن هذا الطريق معناه تأخر زواجهن ، فمن الذى يرى ابنتها وهى منتقبة ، أو حتى مرتدية الجلباب الطويل الواسع والخمار الطويل ، ومن الذى سيتقدم للزواج من ابنتها وهى تقول : هذا حرام ، وهذا حرام ، ولا أفعل كذا ، ولا أُدْخل فى بيتى كذا ، ولابد أن يكون بيتى كذا ، لا لشىء إلا لأنها أصبحت تسير فى طريق الهداية ولا تود أن ترتبط بمن يأخذ بيديها إلى الوراء ، إلى غير ذلك مما نلمسه جميعا فى واقعنا . ولا شك أن الأخت المسلمة تجد ضغطاً عليها غير عادى ، وآلاماً نفسية تسرى بين ضلوعها ، بل وفى دمها ، ووساوس شيطانية ، كل ذلك يدفعها دفعاً للنكوص على عقبيها ، وعدم سلوك هذا الطريق ، والاكتفاء ببعض القشور .

كيفية التغلب علي هذه العقبة

١ - الصبر والثبات

قال تعالى :﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾(١) .

(فمفهوم النص فى الآية أن الثبات أمام ضغط القرابة ، والصمود أمام إغراءات المال والسكن ، والاندفاع الاعتقادى والنفسى على حب الله والرسول، والجهاد فى سبيل الله ، هو من مقتضيات الإيمان ، وأسس الإسلام ، فبدونها لا يكون المسلم - وعلى الأخص الداعية - مؤمناً بحق ، ومسلماً بصدق ، مهما تبجح بالإيمان وتشدق بالإسلام)(٢)

فعلى الأخت المسلمة أن تقابل هذا الضغط من أحب الناس إليها ، ومن غيرهم بالصبر والثبات ، وألا تهن ولا تحزن ، ولتعلم أن النصر مع الصبر .

٢ - التأسي بأصحاب القدوة من الأنبياء والصالحات قديماً وحديثاً

فإن التأسى بهم يهون على المسلمة أموراً كثيرة ، ويرزقها الرضا والتسليم والقناعة ، بأن هذا هو ثمن الطريق إلى الجنة ، فتصبر وتحتسب الأجر عند الله تعالى ، ويهون عليها ما تلاقيه عندما تجد من هم أفضل منها قدلاقوا ولاقوا من أهليهم وأقاربهم من أجل الثبات على طريق الحق .

فهذه سمية بنت خُبّاط أم عمار بن ياسر ، كان بنو مخزوم إذا اشتدت الظهيرة، والتهبت الرمضاء ، خرجوا بها هى وابنها وزوجها إلى الصحراء ، وألبسوهم دروع الحديد ، وأهالوا عليهم الرمال المتقدة ، وأخذوا يرضخونهم بالحجارة ، وكان رسول الله ﷺ يمر بهم وهم يعذبون فى رَمْضَاء مكة فيقول :

---

(١) التوبة - ٢٤ .
(٢) عقبات فى طريق الدعاة لعبد الله ناصح علوان (١ / ٢٧٠)

[صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة] .

وغير سمية كثيرات احتملن فوق ما احتملت :

فمنهن من كانوا يلقونها ، ويحملون لها مكاوى الحديد ، ثم يضعونها بين أعطاف جلدها ، ويدعون الأطفال يعبثون بعينها حتى يذهب بصرها .

ومنهن من كانوا يسقونها العسل ، ويوثقونها بالأغلال ، ثم يلقونها بين الرمال ، ولها حرٌّ يذيب اللحم ، ويصهر العظم ، حتى يقتلها الظمأ .

وهذه أسماء رضى الله عنها قالت : أتى أبو جهل فى نفر ، فخرجت إليهم ، فقالوا أين أبوك ؟ قلت : : لا أدرى والله أين هو ؟ فرفع أبو جهل يده ، ولطم خدى لطمة ، خرَّ منها قُرطي ، ثم انصرفوا .

وما خبر الخنساء عنَّا ببعيد ، فلما وافتها النعاة بخبر مقتل أولادها وهم أشطار كبدها ، ونياط قلبها ، لم تزد على أن قالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة» .

إلى غير ذلك من الصور المضيئة التى تُظهر لنا بوضوح ، كيف صبرت المرأه المسلمة من أجل دينها ، فما بالكن أيتها المسلمات بما هو أهون من ذلك ، ألا وهو ضغط الأهل أو الأقارب أو الجيران .

٣ - المجادلة بالتي هي أحسن

فعلى المسلمة ألا تهمل الشبهات التى يثيرها أهلها وأقاربها إهمالاً مطلقاً، بل تتحين الظروف المناسبة ، وترد على هذه الشبهات معتمدة فى ذلك على حشد ما تستطيع من الأدلة من كتاب الله تعالى وأحاديث النبى ﷺ ، ثم أقوال أهل العلم ، لأن كثرة سرد الآيات والأحاديث تُلجم الكثير، لأنه لا يستطيع أن

يعترض عليها ، ولكنه يحاور من قريب أو من بعيد . وعليها أيضا أن تكون واثقة من نفسها وذلك بالتسلح بالعلم الشرعي ، والفهم الدقيق لحقيقة الدين ، والدعوة إليه ، حتى لا يراها الناس مترددة ، أو عاجزة عن الإجابة أو رد الشبهات ، قال تعالى ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(١) .

٤ – البحث عن الرفقة الصالحة

فبهن تثبت ، ومعهن تتعاون ، ومنهن تأخذ النصيحة والعون بعد الله تعالى ، وبفضل صحبتهن تتحصن بالإيمان والأخلاق الفاضلة ، والصبر ، فيهون عليها إن شاء الله كل شيء .

بل هي معهن على العموم ، إن نسيّت ذكروها ، وإن ذكرت أعانوها ، وإن مالت عن الحق احتضنوها ووجهوها .

ويتضح لنا ذلك أيضاً من حديث الرجل الذى قتل مائة نفس ،كما قال له العالم « انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء »(٢) .

قال ابن علان رحمه الله :

{وفيه (أى فى الحديث) الانقطاع عن إخوان السوء ، ومقاطعتهم ماداموا على حالهم ، واستبدال صحبة أهل الخير والعلم والصلاح والعبادة والورع ، ومن يُقتدى بهم وينتفع بصحبته لتتأكد بذلك توبته وتقوى أوبته ، فإن كل قرين يقتدى بقرينه}(٣)

---

(١) النحل – ١٢٥ .
(٢) متفق عليه .
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١ / ٩٨).

العقبة الثالثة : الدنيا

والدنيا بما فيها من حب للمال والجاه والنساء ، وبما فيها من متاع زائل وشهوات فانية ، إن لم تتحصن المسلمة بالله ، فلابد أن تقع فريسة فى شراكها ، وتبدأ فى البحث عن أقوال من هنا أو هناك ،كى تجد رخصة أو فتوى طائشة ، توافق هواها أو تشبع شهوتها ، حتى لا تُلاَم ـ بزعمها ـ من أهل الدنيا ، ولا من أهل الآخرة .

والركون إلى الدنيا بطلبها ، والافتتان بها ، والفرح بمتاعها إذا جاء ، والحزن إذا ضاع ، آفة خطيرة ، تُقعد المسلمة عن صراط الله المستقيم . فهذه كانت مجتهدة فى طلب العلم ، وأخرى كانت نشيطة فى حقل الدعوة ، وثالثة مقبلة على حفظ القرآن ، ورابعة تحرص على التزامها بدينها واستقامتها ، فما إن فُتحت لهن نافذة الدنيا ، وقعن فيها وسقطن وتراجعن ، وأصبحت صورتهن المضيئة المشرقة، سراباً سار مع رياح الافتتان بالدنيا .

كيفية التغلب على هذه العقبة

وحتى لا تقع المسلمات فريسة للدنيا ، وقبل أن يرتددن على أعقابهن ، وقبل أن يسوء التزامهن ، وقبل أن تصبح صورتهن مختلفة عن أقوالهن ، نقدم لهن العلاج ، ألا وهو النظرة الصحيحة للمسلمة تجاه الدنيا ، وفق القواعد الآتية :

١ - مقام الدنيا فى الآخرة ، ومدى صغارها وتفاهتها عند الله ، وذلك حفاظاً عليها من فتنتها وغوايتها .

قال تعالى ﴿ واضْرِبْ لهُم مَّثل الْحياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أنزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ

فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرِّيَاحُ وكان اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شيءٍ مقتدرا (٤٥) المال والبنون زينة الحياة الدُّنيا والْبَاقِيَاتُ الصَّالحات خيرٌ عند ربِّك ثوابا وخير أملا (٤٦)﴾[1] .

وروى الترمذى عن سهل الساعدى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: . « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً شربة ماء**»[2] .

٢ - حذر الإسلام من أن تصبح الدنيا مبلغ التنافس بين الناس

قال ﷺ : « **والله ما الفقرأخشى عليكم ، ولكنى أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم** »[3] .

٣ – حذر الإسلام من أن يطغى حب الدنيا على القلوب ، فيشغلها عن التزود لآخرتها ، فحض على الزهد بها وتخليص النفس من أسرها .

سُئل الإمام أحمد بن حنبل ، هل يكون المرء زاهداً ومعه ألف دينار ، قال : نعم ، قيل : وما آية ذلك ؟ ، قال : آيته أنه إذا زادت لا يفرح ، وإذا نقصت لا يحزن .

وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : « **كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** » ، وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك .

---

(١) الكهف (٤٥ ، ٤٦)
(٢) قال الترمذى حديث حسن صحيح ، صححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٥٢٩٢) .
(٣) متفق عليه

فما أجمل المسلمة حين تسدد وتقارب وتوازن ، وما أعظمها حين تجعل الدنيا مطيّة الآخره ، وما أقواها حين لا تجعل للدنيا عليها سبيلاً .

٤ - تذكر الموت وأهوال القيامة .

وذلك دواء ناجح إن شاء الله للقلوب القاسية ، إن تذكرت الموت وأهوال يوم القيامة ، بقلب قانت لله ونية خالصة له ، وعزيمة صادقة ، فإن ذلك يحملها على التجافى عن دار الغرور ، والإقبال على الله ، فيقصر الأمل وتنشط النفس فى عبادتها لله تعالى .

(فصل) تذكرة

إن من نظرت إلى الدنيا بعين البصيرة ، وأيقنت أن نعيمها ابتلاء ، وحياتها عناء ، وعيشها نكد ، وصفوها كَدر ، وأهلها منها على وَجَل ، إما بنعمة زائلة ، أو بلية نازلة ، أو منيّة قاضية .

مسكينة .. من اطمأنت ورضيت بدار حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، إن أخذته من حلال حوسبت عليه ، وإن أخذته من حرام عُذبت به ، من استغنت فى الدنيا فتنت ، ومن افتقرت فيها حزنت ، من أحبتها أزلتها ، ومن التفتت إليها وأحبتها أعمتها .

والناس في هذه الدنيا قسمان :

الأول فطناء .. وقد وفقهم الله ، فعلموا أنها ظلّ زائل ، ونعيمٌ حائل ، وأضغاث أحلام ، بل فهموا أنها نِعَمٌ فى طيِّها نِقَم ، وعرفوا أنها حياة فانية ، وأنها مَعْبَرة وطريق إلى الحياة الباقية ، فرضوا منها باليسير ، وقنعوا منها بالقليل فاستراحت قلوبهم من همّها وأحزانها ، واستراحت أبدانهم من نَصَبها وعنائها

وسلم لهم دينهم ، وكانوا عند الله هم المحمودين ، فلم تشغلهم دنياهم عن طاعه مولاهم ، جعلوا النفس الأخير وما وراءه نصب أعينهم ، وتدبروا ماذا يكون مصيرهم ، وفكروا كيف يخرجون من الدنيا وإيمانهم سالم لهم ، ومالذى يبقى معهم منها فى قبورهم ، ومن لا يغنيهم من الله شيئا .

﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾(١)

﴿ يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا ﴾(٢)

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) ﴾(٣)

ويبقى عليهم وبَالُ ما جمعوا وما عَمَروا فى غير طاعة الله . أدركوا كل هذا فتأهبوا للسفر الطويل ، وأعدوا الجواب للحساب ، وقدمُوا الزاد للمعاد، وخير الزاد التقوى ، فطوبى لهم ، خافوا فأمنوا ، وأحسنوا ففازوا وأفلحوا .

إن لله عباداً فطناً ... طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لإحدٍ سكنا
جعلوها لُجّة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سُفنا(٤)

والقسم الثانى : قوم انصرفوا إلى الدنيا ، حتى أصبحت همهم وشغلهم الشاغل ، فنسوا الله فنسيهم ، وغفلوا عن لقاء الله تعالى ، وهان عليهم تعظيم أوامر الله تعالى ، فخابوا وخسروا .

---

(١) الشعراء – ٨٨ .
(٢) الدخان – ٤١ .
(٣) عبس (٣٤ : ٣٦) .
(٤) موارد الظمآن للشيخ عبد العزيز السلمان بتصرف (١ / ٥٤٠) .

العقبة الرابعة : الزواج

لا أدرى ماذا يفعل الزواج بالمرء ؟

أخوات بعد الزواج حسن إسلامهن واستقام خطاهن ، وكثر إنتاجهن ، وأخريات بعد الزواج بهت إسلامهن ، وتعثرت خطواتهن على طريق الاستقامة والدعوة ، وقل إنتاجهن ، حتى انطوى ذكرهن عن مسرح الدعوة ووجودهن بل الأخطر من ذلك أصبحن من طلاب الدنيا ، والباحثين عنها !!

وهؤلاء الأخوات كان الزواج لهن عقبة على طريق الالتزام ، ولكن ليس بسببه هو ، وإنما بسبب الفهم الخاطئ لمعنى وحقيقة الزواج، فلم يتقيدن فى زواجهن بالقواعد و الأسس الكفيلة بتحقيق إسلامية البيت ، وسعادة أفراده ، وصلاح ذريته . أعمتهن المظاهر عن الجواهر، وشغلتهن القشور عن اللباب ، فضللن الطريق وانتكسن .

أعرف أخوات كان لهن صولات وجولات ، وحَسُنَ التزامهن واستقامَتهن على الدين ، وبعد الزواج أصبحت الدنيا محببة إلى قلوبهن ، وأخذن يتحدثن عنها وعن متاعها ، يفرحن إن ملكن منها شيئا ، ويحزنَّ إن فقدن منها شيئا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كيفية التغلب على هذه العقبة

وللتغلب على هذه العقبة ، فلا بد من معرفة وتحقيق القواعد والأسس التى وضعها الإسلام لإنشاء البيت الإسلامى الناجح ، الذى ينعم فيه الزوجان بنعمة الزواج ، ويتدارك فيه المرء تلك السلبيات والصور الباهتة التى نراها من البعض ، وإليكن هذه القواعد والأسس :

١ - أن يكون القصد الأول من الزواج استكمال الدين ، وأن يكون الزواج عاملاً أساسياً فى تحصين النفس وتزكيتها ، وكذلك فى بناء البيت المسلم ، ليكون اللبنة الصالحة فى بناء المجتمع الإسلامى المستقيم على شريعة الله ، وكل هذا من سلامة القصد .

قال ﷺ : « **من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه الله على شطر دينه ، فليتق الله فى الشطر الباقى** »[(١)]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

« **يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء** »[(٢)]

.ويعبر القرآن عن أمنية غالية من أمانى المؤمنين حيث يصفهم بقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)** ﴾[(٣)] .

٢ - حسن الاختيار.

وهو ولاشك من العوامل المثبتة على الطريق . فعندما تسيء المرأة الاختيار، تفتقد إلى المُعين بعد الله تعالى ، وعندما تتهاون فى الشروط الواجبة فيمن تريد أن ترتبط به ، بدافع الرغبة فى الزواج فحسب ، فحينئذ تجنى ثماراً غير طيبة ، كحدوث مشاكل بين الزوجين ، واختلاف فى أمور لا تحتاج إلى اختلاف ، كالالتزام ببعض أمور الشريعة .

(١) رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وحسنه الألبانى في الصحيحة برقم (٦٢٥) عن الطبرانى بلفظ « إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله فيما بقى » .
(٢) رواه البخارى ومسلم ، ووجاء : أى وقاية .
(٣) الفرقان - ٧٤ .

أرسلت لى أخت تشكو زوجها [illegible] إلى المسجد كل أسبوع ، وأخرى تشكو لأنه اشترى جهاز التلفاز [illegible] فيه منكرات كثيرة مع أولادها ، التى تجاهد وتسعى فى حسن تربيتهم ، وثالثة تشكو زوجها لأنه يرفض النقاب تماماً ، إلى غير ذلك من المشاكل التى تدور حول الالتزام والاستقامة على الدين .

ولذلك إذا أحسنت المرأة الاختيار ، ولم تتسرع مخافة أن يفوتها قطار الزواج ، أو أن يقال عنها أنها لم تتزوج إلى الآن وعمرها أصبح كذا ، أو غير ذلك من الشبهات الواهية ، فإنها ستتجنب كثيراً من المشاكل النفسية والخلافات الزوجية داخل البيت .

فلتحذر الأخوات المسلمات اللائى يفتشن عن الأشكال قبل الخصال ، وعن الأموال دون الخلال ، ليمتثلن أوامر الإسلام ، وليكافحن رغائب الشيطان فى نفوسهن ، وليستجبن إلى داعى الله فيهن .

قال تعالى ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)** ﴾[١]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال :

« **إذا أتاكم من ترضون خُلُقَه ودينَه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض** »[٢]

٣ – الفهم الحقيقي لمعني الزواج في الإسلام .

فبغض النظر عن أن الزواج يساعد على غض البصر وحفظ الفرج وتكثير

---

(١) النور – ٣٢

(٢) أخرجه الترمذى وابن ماجه وهو صحيح [السلسلة الصحيحة ٣ / ٢٠ برقم (١٠٢٢)] .

النسل ، فإن له ثلاث معان هامة وخطيرة وهى :

أولا : الزواج عبادة

فالاسلام يعتبر كل عمل يقوم به المرء ، يبتغى به وجه الله عز وجل ، عبادة يثاب عليها ، حتى أن اللقمة يرفعها الرجل إلى فم زوجته ، إيناساً واستئناساً ، له بها أجر . فلو نوى الزوجان بنكاحهما إعفاف نفسيهما ، وإحصانهما عن الوقوع فيما حرم الله ، وإكثار أمة محمد ﷺ بإيجاد أبناء صالحين ، ودعاة للإسلام مجاهدين ، فإن مباضعتهما تكتب صدقة لهما .

كما فى حديث أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« .. وفى بُضْع[1] أحدكم صدقة ، قالوا : يا رسول الله : أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ، قال ﷺ : « أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ » قالوا : بلى ، قال ﷺ : « فكذلك لو وضعها فى الحلال كان له بها أجر »[2]

ثانياً : الزواج عون علي طاعة الله تعالي والاستعداد للآخرة

ويظهر ذلك من قوله ﷺ : **« إذا استيقظ الرجل من الليل ، وأيقظ امرأته فصليا ركعتين ، كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات »**[3] . **ولقوله ﷺ أيضا : « رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح فى وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ، فإن أبى نضحت فى وجهه الماء »**[4] .

(١) جماع الرجل زوجته . (٢) رواه مسلم .
(٣) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وغيرهم – صحيح الجامع (١ / ١٢٢) برقم (٣٣٣) .
(٤) رواه أبو داود وابن ماجه – صحيح الجامع (١ / ٦٥٧) .

فإن كان العون على طاعة الله تعالى وصل إلى هذه الدرجة الرفيعة من التعاون على النوافل ، فما بالنا بالفرائض ؟ .

ثالثاً : الزواج نعمة من نعم الله عز وجل

لذا يجب حُسن استقبالها ، وتوجيهها الوجهة الصحيحة .

قال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾[١]

.فعلى قدر استقبال هذه النعمة ، وحسن استخدامها ، ينعم الزوجان بالمودة والرحمة التى هى بيد الله وحده ، لا كما يفهم الكثير ، بيد الفراش الوثير ، والأثاث النفيس ، والمال والذهب والمتاع الزائل .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾[٢] فالزواج سكن يشعر فيه كل من الزوجين بالراحة الجسدية والنفسية ، ولكن هيهات أن ينعم بذلك من لم يفهم المعنى الحقيقى للزواج ويقوم به .

(فصل) نماذج رائعة لنساء متزوجات

ـ ابنة سعيد بن المسيب لمّا أن دخل بها زوجها .، وكان من أحد طلبة والدها ، فلما أن أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج فقالت له زوجته : إلى أين تريد ؟ . فقال : إلى مجلس سعيد أتعلم العلم . فقالت له : اجلس أعلمك علم سعيد .

---

(١) الروم – ٢١
(٢) الأعراف – ١٨٨

ـ فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندى ، تفقهت على أبيها وحفظت تحفة الفقهاء لأبيها ، وكان زوجها يخطىء، فترده إلى الصواب، وكانت الفتوى تأتى فتخرج وعليها خطُّها وخطُّ أبيها ، فلما تزوجت بصاحب « البدائع » كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها .

– وزوجة الحافظ الهيثمي وهى بنت شيخه الحافظ العراقي ، كانت تساعد زوجها فى مراجعة كتب الحديث .

– قال الهيثم بن جماد : كانت لى امرأة لا تنام الليل ، وكنت لا أصبر معها على السهر ، فكنت إذا نعست ترشُّ عليَّ الماء فى أثقل ما أكون من النوم ، وتنبهنى برجلها ، وتقول ، أما تستحى من الله ؟ إلى كم هذا الغطيط ؟ فو الله إن كنت لأستحى مما تصنع .

– ولّما بلغ معاذة بنت عبد الله العدوية نبأ استشهاد زوجها وابنها ، أتت النساء يواسينها فى مصابها ، فقالت لهن : إن كنتن جئتن لتهنئنى فمر حباً بكن ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن .

– وذكر الحافظ ابن الجوزى رحمه الله : أن امرأة من الصالحات كانت تعجن عجينة ، فبلغها وهى تعجن موت زوجها ، فرفعت يدها منه ، وقالت : هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء !!

– وكانت عصمت الدين زوجة الملك الصالح نور الدين محمود ، تكثر القيام فى الليل ، فنامت ذات ليلة عن وردها ، فأصبحت وهى غضبى ، فسألها نور الدين عن أمرها ، فذكرت نومها الذى فوّت عليها وردها ، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب « طبلخانة » فى القلعة وقت السحر ، لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل ، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجراً جزيلاً ، وجراية كثيرة.

وبعد ، فذاك غيض من فيض ، وتلك آثار لنساء مسلمات متزوجات ، لم يؤخرهن الزواج عن الله والدار الآخرة ، فكنَّ خير عونٍ لأزواجهن .

فلو كان النساء كمن ذكرنا — لَفُضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ — وما التذكير فخر للهلال

العقبة الخامسة : اتباع الهوى

الهوى الذى يدفع المسلمة إلى الترخص فى دينها ، وإلى اتباع الفتاوى العرجاء التى توافق هواها ، فتزل قدمها بعد ثبوتها .

ولقد حذرنا الله تعالى من اتباع الهوى ، وبينَّ لنا ضرره وخطره ، فقال تعالى ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) ﴾(١)

وقال أيضاً : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾(٢)

وقال : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾(٣)

وقال : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(٤)

وقال : ﴿ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦) ﴾(٥)

وقال : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (١٢٠) ﴾(٦)

وقال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ

---

(١) الفرقان – ٤٣ . (٢) القصص – ٥٠ . (٣) الجاثية – ٢٣ .
(٤) ص – ٢٦ . (٥) الأنعام – ٥٦ . (٦) البقرة – ١٢٠ .
(٧) النازعات – ٤٠ .

الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) ﴾[1]

وغير ذلك من الآيات كثير ، تبين لنا أن اتباع الهوى هو طريق الضلال والغواية ، والبعد عن سبيل الله وهداه ، وفقد ولاية الله ونصره للعبد .

وما من شك أن خطر اتباع الهوى يكمن فى الوقوع فى معاصى الله عز وجل ، ولعل من أهم مظاهر ذلك :

١ – تقديم العقل على النقل ، والرأى على الشرع .

٢ – الوقوع فى شراك البدع ، والبعد عن طريق السنة .

٣ – عدم الحكم على الناس بالعدل .

٤ – التعصب الشديد لرأى أو لعالم .

٥ – الإقبال على الدنيا والإعراض عن الدار الآخرة .

كيفية التغلب على هذه العقبة [1]

١ – الاستعانة بالله فى دفعها ، ومن أهم وسائل الاستعانة الدعاء ، ولذلك كان من دعاء النبى ﷺ « **اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء** »[2] .

٢ – ربط القلب بالله عز وجل خوفاً وطمعاً ، ورغبة ورهبة ، والوقوف بين يدى الله تعالى . قال تعالى ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١)** ﴾قال مجاهد : هو العبد يهوى المعصية فيذكر مقام ربه عليه فى الدنيا ، ومقامه بين يديه فى الآخرة ،

(١) النازعات – ٤٠ .
(٢) مستفاد من شريط إسلامى للشيخ محمد صالح المنجد بعنوان « التحذير من اتباع الهوى » .
(٣) رواه الترمذى والطبرانى وصححه الألبانى (صحيح الجامع برقم ١٢٨٩) .

فيتـركها لله.

٣ – تأملُ عاقبة اتباع الهوى بعد قضاء الوطر من المعصية

قـال تعـالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ..... ﴾(١).

٤ – أن تعلم المسلمة أن متبع الهوى ، يُحرم من إصابة الحق ومعرفة الدليل والتوفيق فى أمور الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ فما حال من لم يجاهدن فى الله ؟!!

٥ – التجرد لله وحده ، وإخلاص القول والعمل لله وحده ، وتقديم محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ على جميع المحاب ، فإن ذلك من أهم علامات صحة الإيمان .

٦ – محاسبة النفس ، وسرعة التوبة إلى الله على التقصير واتباع الهوى .

العقبة السادسة : عقلية المجتمع بعللها وأمراضها

لا شك أن كل شخص يعيش فى مجتمع ما ، يتأثر به ويؤثر فيه ، فإن لم يكن له منهج حق يتبعه ويلتزم به ، فإنه ولا شك سيتأثر بما فى المجتمع من سلبيات وإيجابيات بصورة يتبع فيها هواه وشهوته .

فالبيئة الإجتماعية بكل مؤثراتها وضغوطها وفتنها ، تمثل عقبة خطيرة ، أمام من تريد أن تسلك طريق الهداية ومرضاة ربها .

(١) الأعـراف (١٧٥ ـ ١٧٦) .

فمن هذه الضغوط : ضغط الاستهزاء على المسلمة المستقيمة ، والغمز بها، والسخرية عليها، وضغط الافتراء والاتهام ، حتى تصاب بانهزامية تُقعدها عن مواصلة السير ، وجدية الإلتزام .

بل إن عقلية المجتمع المنحرفة بعللها وأمراضها ، تؤثر فى المسلمة تأثيراً بالغاً إن لم تكن قد تحصنت بالإيمان بالله تعالى والعلم النافع .

وهذه بعض مظاهر هذه العقلية :

١ – ليس لدى جمهور العوام من الناس ميزان صحيح يعرفون به الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، حتى أوصلهم ذلك إلى أن استمدوا دينهم من واقع الناس ، وما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم ، فإذا ما دعتهم المسلمة إلى إقامة سُنّة مثلاً ، أو التزام بأمر من أمور الشرع هاجوا فيها وفسّقوها ووصفوها بالضلال ، لأن ذلك خلاف ما عليه واقع الناس !!

٢ – أصبح الدين عند كثير من عوام الناس على هامش حياتهم ، حتى أصبحوا يهتمون بالظاهر ، من نُطقٍ بالشهادتين وصلاة وصيام وحج وعمرة ، أما غير ذلك فالأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، حتى لو كان فى ذلك معصية لله تعالى .

٣ – أصبح الإفتاء فى أمور الشرع أمراً هيناً ، يتعرض له كل واحد ، يعلم أو لا يعلم ، وتَهَجّم عليه كل من هبّ ودّب ، حتى صار الجاهلون والفسقة كلهم يفتون فى دين الله ، ويتكلمون فى دين الله بلا علم ولا فهم ولادراية ، حتى رأينا مثل هذا الجدل وهذه الفلسفة والاحتجاجات الفارغة ببعض الآيات والأحاديث ، فمنها على سبيل المثال :

(أ) تركهم للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مستدلين بقوله تعالى : ﴿ لا

---

(١) البقرة – ٢٥٦

إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[1] ، وهو فهم خاطىء لمعنى الآية .

(ب) تعليلهم فعل المعاصى بقوله ﷺ « إن الدين يسر » وما نُقل عنه أنه ما خُير ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما .

(جـ) انغماسهم في الدنيا دون مبالاة بحلال أو حرام ، مستدلين بقوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [1]

(د) يبررون سفور نسائهم ، ببعض النماذج التى ليست على المستوى المطلوب ، فيقولون مثلا : فلانة المحجبة تفعل كذا وكذا وتقول كذا وكذا ، إذن فالحجاب ليس كل شىء .

إلى غير ذلك من المفاهيم والأقوال الساقطة .

كيفية التغلب على هذه العقبة

١ - أن تعلم المسلمة أنها ليست أفضل ولا أشرف من رسول الله ﷺ ولا من الرعيل الأول ، ممن آمنوا بالإسلام ونصروا النبى ﷺ وعزّروه ووقّروه ، فهؤلاء جميعاً قد استهزىء بهم ، ووجِّهت إليهم التهم الكاذبة والافتراءات الباطلة ، ولكنهم ثبتوا على الحق ، وصبروا وصابروا ، وتحملوا الأذى فى سبيل الله ، فلتصبر المسلمة ولتثبت على الحق .

٢ - حضور مجالس العلماء ، ومدارسة القرآن ، والبعد عن الأشرار ، ومصاحبة الأخيار، والتزام أخلاق الاسلام

٣ - الاهتمام بترسيخ الجانب العقدى من الإيمان بالله وملائكته وكتبه

(٢) الأعراف - ٣٢.

ورسله واليوم الآخر ، والإيمان بالقدر خيره وشره .

٤ – محاسبة النفس كل فترة ، لتدارك السلبيات ، وعلاج أوجه القصور

٥ – البحث عن البيئة الصالحة التى تستريح فيها ومعها .

كما فى حديث البخارى ومسلم « **انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها قوماً يعبدون الله تعالى ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء** »(١)

٦ – الحذر كل الحذر من الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية ، فمنها الخطر العظيم ، والسرطان الذى يسرى فى الجسم لا يدرى به الطبيب ولا المريض حتى يتمكن من جسم المريض ، وعلى الأخت المسلمة اختيار النافع من ذلك فقط ، والاستفادة منه ولكن بالصورة الصحيحة ، مع تحذير الناس من السيىء منها ، فضلاً عن محاولة نشر الوسائل الطيبة منها .

العقبة السابعة : عدم التفقه في دين الله تعالى

فتسمع المسلمة من يُعظم لها العلوم الدنيوية ، وأنه يجب عليها أن تنبغ فيها، ولا تترك المجال للفسقة أو الكفار ، فالإسلام يحض على ذلك !! ثم لا تسمع من يُحببها فى التفقه فى دين الله ، ولا من يفهمها أنه الأهم فى المقام الأول ، وبدونه لايستقيم طلب العلوم الدنيوية ولا ينتظم .

لا تسمع من أحدٍ ، أن التفقه فى دين الله تعالى ، يورث خشية الله تعالى، بخلاف العلوم المادية التى أكثرها يقسى القلب ويضيع الوقت . من هنا كان الجهل بدين الله تعالى من العوامل الأساسية التى تعوق المسلمة عن السير فى طريق الله ، و إذا سارت لا يزيد من إيمانها ، لأنها فقدت العامل الأساسى الذى يجعلها تخشى الله تعالى وتقبل عليه ، فتمتثل أمره وتجتنب نهيه ، ولا تتعدى

(١) انظر ص(٣٩)

حدوده .

ولعل من أخطر مظاهر عدم التمقه فى دين الله أمران :

الأول : الفهم الخاطى لحقيقة الأسلام

ويتمثل هذا الفهم الخاطىء عند الكثير من النساء فى قناعتهن بالصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة بعد النطق بالشهادتين ، كحدٍ يقف عنده مفهوم الإسلام ولايتعداه الكثير من النساء.

الثاني : القصور الحاد فى فهم معنى الالتزام والاستقامة على الدين

فمن النساء من تفهم معنى الالتزام والاستقامة على الدين على أنه الحجاب فحسب ، حتى ولو كانت غير ملتزمة بشروطه الشرعية الكاملة ، وأخرى تفهمه على أنه التزام ببعض أمور الشريعة دون بعضها فحسب ، وثالثة من تفهم أنها مادامت محجبة وتذهب إلى المسجد لحضور دروس العلم وليس عندها منكرات فى بيتها مثلاً فهذا هو عين الالتزام ونهايته ، ولكن حقيقة الاستقامة على الدين تعنى الالتزام بأوامر الشريعة ظاهراً وباطناً دون توانٍ أو تسويف ، بحب تام لله وخضوع .

كيفية التغلب على هذه العقبة

١ – معرفة فضل العلم وقدره ، وفضل طلبته ومكانتهم عند الله تعالى .

٢ – التفقه فى دين الله تعالى ، لا سيما إن كان من خلال منهج علمى صحيح[١] .

٣ – الحرص على الرفقة الصالحة من النساء اللائى يجتمعن على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وهذا سبيل من السبل الموصلة لتحصيل العلم .

(١) انظرى المنهج العلمى المقترح لنساء المسلمين، والذى وضعته فى بعض كتبى مثل :هذه هى زوجتى ، والكلمات النافعات للأخوات المسلمات .

٤ – الصبر على تعلم العلم والتفقه فيه .

العقبة الثامنة : الخوف

على النفس أو الرزق أو الزوج أو الأولاد أو الوالدين أو غيرهم

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١) : فحقيقة هذا الخوف إنما هو من الشيطان وجنوده ، آملين من وراء ذلك نكوص المستقيمين على الدين ، وتراجع المجتهدين في العبادة، وتأخر المجدين في هممهم ، ولو أوقعهم في الشرك لكان هذا منتهى غايته لعنه الله .

كيفية التغلب على هذه العقبة

١ – أن ترضى المسلمة بقضاء الله وقدره ، وأن تستسلم لحكمه وأمره ، وأن تعلم أن ما يصيب الإنسان من مصائب لم يكن ليخطئها ، وأن ما أخطأها منه لم يكن ليصيبها ، وأن الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوها بشيء لم ينفعوها إلا بشيء قد كتبه الله لها ، وإن اجتمعت على أن يضروها بشيء لم يضروها إلا بشيء قد كتبه الله عليها .

قال تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾(٢)

وقال أيضا ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) ﴾(٣)

---

(١) آل عمران : ١٧٥
(٢) التوبة : ٥١
(٣) الحديد – ٢٢

٢ – أن تتذكر المسلمة أجرها ومكانتها عند الله تعالى ، إذا هي صبرت وتجلدت أمام ما يصيبها .

قال تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾[١] .

وعند مسلم عن صهيب بن سنان أن رسول الله ﷺ قال :

« **عجباً لأمر المؤمن ، إنّ أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إذا أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإذا أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له** » .

وقال عمر رضي الله عنه : ما أصبت بمصيبة إلا وحمدت الله لثلاثة أمور : إنها لم تكن مصيبة بالدين ، وإنها لم تكن أعظم مما كانت ، وإني أحتسب الأجر بالصبر عليها .

٣ – ألا تنسى المسلمة أن الخوف عبادة من العبادات ، لا يجب أن تصرف إلا لله تعالى ، فإذا تعلق القلب بالله أمّنه الله من كل شيء .

قال تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥) ﴾[٢] .

---

(١) البقرة – (١٥٥ – ١٥٧).
(٢) آل عمران – (١٧٣ – ١٧٥) .

الباب الخامس
وسائل الثبات على دين الله

ولأن الثبات على دين الله مطلب أساسى لكل مسلمة صادقة ، تريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد ، ولأن حاجتها اليوم للوسائل التى تعينها على الثبات أعظم من حاجتها لها أيام السلف ، ولأهمية هذه الوسائل لكل العقبات السابقة وغيرها ، أردت أن أختم بها هذه الرسالة ، حتى تكون هى الرمق الأخير الذى ينقذ المسلمة بفضل الله ، من الوقوع فى هاوية الفتن والنكوص على الأعقاب .

وهذه الوسائل هى :

١ - الإقبال على القرآن

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً (٣٣) ﴾(١) .

فكان القرآن مصدراً للتثبيت ، لأنه يزرع الإيمان ويزكى النفس بالصلة بالله، ولأن تلك الآيات تنزل برداً وسلاماً على قلب المؤمن ، فلا تعصف به رياح الفتنة ، ويطمئن قلبه بذكر الله .

٢ - التزام شرع الله والعمل الصالح

قال تعالى ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾(٢) .

---

(١) الفرقان (٣٢ - ٣٣)   (٢) ابراهيم - ٢٧

قال قتاده : أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ، وفى الآخرة فى القبر .

وقال تعالى﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) ﴾[١] أى على الحق .

وهذا بيِّن ، وإلا فهل نتوقع ثباتاً من الكسالى القاعدين عن الأعمال الصالحة ، إذا طلَّت الفتنة برأسها وادلهم الخطب ؟ ولكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم صراطاً مستقيماً .

٣ - تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل

قال تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) ﴾[٢] .

فما نزلت تلك الآيات على عهد رسول الله ﷺ للتلهى والتفكه ، وإنما لغرض عظيم ، هو تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ وأفئدة المؤمنين معه .

٤ - الدعاء

إذ كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول :

« يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك »[٣]

وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) ﴾[٤]

---

(١) النساء - ٦٦ . (٢) هود - ١٢٠ .
(٣) رواه الترمذى وهو صحيح (صحيح الجامع برقم ٧٨٦٤) .
(٤) آل عمران ١٤٦ - ١٤٨ .

٥ - ذكر الله

فهو يرضى الرحمن ، ويطرد الشيطان ، ويزيل الهم والغم ، ويشرح الصدر قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً ﴾(١) ، فجعله من أعظم ما يعين على الثبات فى الجهاد

٦ - الالتفاف حول العناصر المثبتة

كالعلماء والصالحين والدعاة ، ولنا أن نتأمل ما قاله ابن القيم رحمه الله عن دور شيخه شيخ الإسلام فى التثبيت (وكناً إذا اشتدَّ بنا الخوف ، وساءت بنا الظنون ، وضاقت بنا الأرض أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه ، فيذهب ذلك كله عنَّا وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة . فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها فى دار العمل ، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها(٢) .

٧ - التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار وتذكر الموت

فالمسلمة التى تعلم الأجر ، يهون عليها مشقة العمل وهى تسير ، وتعلم بأنها إذا لم تثبت ، فسيفوتها جنة عرضها السموات والأرض ، ولذلك كان النبى ﷺ يستخدم ذكر الجنة فى تثبيت أصحابه .

فهذا رسول الله ﷺ كان يمر بياسر وعَمّار وأمه وهم يؤذون فى الله تعالى فيقول لهم « **صبراً آل ياسر صبراً آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة** » . وكذلك تذكر الموت يحمى المسلمة من التردى ويوقفها عند حدود الله فلا تتعداها ، ولذلك قال ﷺ « **أكثروا من ذكر هاذم اللذات** »(٣)

وهذا آخر ماتم جمعه وتأليفه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه / أبو أحمد

عصام بن محمد الشريف

---

(١) الأنفال ٤٥ .
(٢) الوابل الصيب .
(٣) رواه الترمذى وصححه (إرواء الغليل للألبانى ٣ / ١٤٥) .

صدر للمؤلف

١ – الكلمات النافعات للأخوات المسلمات .

٢ – صورة البيت المسلم .

٣ – النساء أكثر أهل النار – الأسباب وطرق النجاة .

٤ – هذه هى زوجتى .

٥ – سلسلة «المرأة الصالحة» .

ترقبوا للمؤلف

١ – الجامع الصحيح من أحاديث النساء .

٢ – الأربعون حديثاً للأطفال .

٣ – هذا هو زوجي .

٤ـ حوار مع المتبرجات .

٥ ـ الكاسيات العاريات .

الفهرس

تم بحمد الله

صدر حديثًا من مطبوعاتنا :

حوار مع المتبرجات

ردود هادئة على شبهات المرأة المتبرجة

تأليف

عصام بن محمد الشريف

الناشر

دار الإيمـــان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط ـ مصطفى كامل

إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩